

حياة أعظم الرسل

محمد يمنع القتال بين القبائل

## مُحَمَّدٌ يَمْنَعُ الْقِتَالَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ

مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ يَا بُنَيَّ سَتَعْرِفُ كَيْفَ  
كَانَ مُحَمَّدٌ مَحْبُوبًا بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ .  
فَبِحِكْمَتِهِ وَحُسْنِ تَفْكِيرِهِ مَنَعَ النِّزَاعَ  
وَالْقِتَالَ بَيْنَ أَرْبَعِ قَبَائِلَ ، أَرَادَتْ كُلُّ مِنْهَا  
أَنْ يَكُونَ لَهَا الشَّرَفُ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ  
الْأَسْوَدِ فِي مَوْضِعِهِ بِالْكَعْبَةِ . فَقَدْ حَدَثَ  
أَنْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا شَدِيدًا ، فَبَدَأَتْ

حِيطَانُ الْكَعْبَةِ تَقَعُ وَتَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ .  
وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ عَزَمَ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى  
بِنَائِهَا ثَانِيَةً بِنَاءً جَدِيداً ، فَاجْتَمَعَتْ  
الْقَبَائِلُ ، وَجَمَعَتْ مَالاً حَلَالاً لِبِنَاءِ  
الْكَعْبَةِ ، وَأَخَذَ أَشْرَافُ مَكَّةَ يَحْمِلُونَ  
الْحِجَارَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ  
عَمُّ الرَّسُولِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ مِمَّنْ يَحْمِلُونَ  
تِلْكَ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا .

وَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ سَفِينَةً يَمْلِكُهَا  
مُهَنْدِسٌ رُومِيٌّ اسْمُهُ ( بَاقُومٌ ) قَدْ



تَعَطَّلَتْ فِي جُدَّة<sup>(١)</sup> ، وَصَارَتْ غَيْرَ قَابِلَةٍ  
لِلْإِصْلَاحِ . بَلَغَ الْخَبْرُ أَهْلَ مَكَّةَ ،  
فَأَرْسَلُوا الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ لِيَشْتَرِيَ  
خَشَبَ السَّفِينَةِ مِنْ ( بَاقُومَ ) ، وَيَطْلُبَ  
مِنْهُ مُسَاعَدَتَهُمْ فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ،  
وَالْتَّعَاوُنَ مَعَ نَجَّارٍ مِصْرِيٍّ فِي أَعْمَالِ  
النُّجَّارَةِ ، وَنَجَحَ الْوَلِيدُ فِي مُهِمَّتِهِ ،  
وَاشْتَرَى خَشَبَ السَّفِينَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى  
مَكَّةَ وَمَعَهُ بَاقُومٌ ، وَالْخُطَّةُ الَّتِي أُعِدَّتْ  
لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ مِنْ جَدِيدٍ . وَقَدْ خُصِّصَ

(١) هِيَ مِينَاءُ عَرَبِيَّةٌ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ رُكْنٌ مِنَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ ،  
حَتَّى لَا تَنْفَرِدَ قَبِيلَةٌ بِشَرَفِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ  
وَحَدَّهَا . وَلَكِنْ ظَهَرَتْ أَمَامَهُمْ مُشْكِلَةٌ  
أُخْرَى — وَهِيَ مُشْكِلَةٌ هَدْمِ الْبِنَاءِ  
الْقَدِيمِ — . وَقَدْ خَافُوا مِنْ غَضَبِ  
آلِهَتِهِمْ — وَهِيَ الْأَصْنَامُ — إِذَا هَدَمُوا  
الْمَبَانِيَ . وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ  
يَمَسَّهَا بِفَأْسِهِ . وَقَالَ أَحَدُهُمْ : هَلْ  
نَسِيتُمْ مَا حَدَّثَ لِأَبْرَهَةَ (١) وَجَيْشِهِ

---

(١) ملك نصراني على اليمن ، وهجم على مكة سنة ٥٧٠ م .



وَفِيلَتِهِ حِينَمَا جَاءُوا لِهُدْمِ الْكُعْبَةِ ؟ إِنَّ  
آلِهَةَ الْكُعْبَةِ قَدْ حَمَتَهَا ، وَانْتَشَرَ الْمَرَضُ  
بَيْنَ أَبْرَهَةَ وَجَيْشِهِ ، وَأَهْلَكَهُمْ الْمَرَضُ  
جَمِيعًا . إِنَّ هَدْمَهَا سَيُغْضِبُ الْآلِهَةَ .  
وَقَفَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَقَالَ لَهُمْ :  
أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ ، إِنَّ أَبْرَهَةَ كَانَ يُرِيدُ  
الْإِعْتِدَاءَ عَلَى الْكُعْبَةِ بِهَدْمِهَا ، وَلَكِنَّا  
نُرِيدُ إِصْلَاحَهَا ، وَبِنَاءَهَا مِنْ جَدِيدٍ .  
وَهُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ . وَلَا يَتَيَسَّرُ  
لَنَا الْبِنَاءُ الْجَدِيدُ إِلَّا إِذَا هَدَمْنَا الْقَدِيمَ .

وَرَأَى أَشْرَافُ مَكَّةَ أَنَّ كَلَامَ الْوَلِيدِ يَقْبَلُهُ  
الْعَقْلُ وَالتَّفَكِيرُ السَّلِيمُ . وَلَكِنْ لَمْ  
يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى الْهَدْمِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ  
الْأَصْنَامِ .

فَأَخَذَ الْوَلِيدُ فَاسًّا فِي يَدِهِ وَقَالَ لَهُمْ :  
سَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ الضَّرْبَةَ  
الْأُولَى ، فَإِذَا أَصَابَنِي ضَرَرٌ فَلَا تَتَعَاوَنُوا  
مَعِيَ . وَبِفَاسِهِ أَزَالَ بَعْضَ الْحِجَارَةِ  
الْمَكْسُورَةِ مِنْ أَحَدِ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ ،  
فَبَدَأَتِ الْحِجَارَةُ الرُّخْوَةُ تَقَعُ عَلَى

الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَحْدُثْ لِلْوَلِيدِ أَىْ ضَرَرٍ .  
فَاسْتَمَرَ فِي الْهَدْمِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ .  
ذَهَبَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَلَمْ يَنْمِ  
أَحَدٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَاسْتَمَرُّوا فِي قَلْقِ  
طَوْلِ اللَّيْلِ . وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ضَرَرًا مُحَقَّقًا  
سَيَحْدُثُ لِلْوَلِيدِ ، كَأَن يَسْتَيْقِظَ وَيَجِدَ  
نَفْسَهُ عَاجِزًا عَنِ تَحْرِيكِ ذِرَاعِهِ ، أَوْ يَجِدَ  
نَفْسَهُ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ ، أَوْ يَمُوتَ أَحَدٌ  
أَوَّلَادِهِ .

وَفِي الصَّبَاحِ الْمُبَكَّرِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِيِ  
تَرَكَ النَّاسُ بُيُوتَهُمْ ، وَذَهَبُوا مُسْرِعِينَ إِلَى



الْكُعْبَةِ ، لِيَرَوْا مَا حَدَثَ لِلْوَلِيدِ .  
وَانْتَظَرُوا جَمِيعًا وُصُولَهُ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ  
تَتَخَيَّلَ مِقْدَارَ تَعْجُبِهِمْ وَاسْتِغْرَابِهِمْ حِينَمَا  
رَأَوْهُ آتِيًا يَخْطُو خَطَوَاتٍ وَاسِعَةً ، وَهُوَ  
عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الصِّحَّةِ  
وَالْعَافِيَةِ ، وَلَمْ تُصِبهُ أَصْنَامُهُمْ بِأَيِّ  
ضَرَرٍ . وَقَدْ رَضُوا الْآنَ بِالِاشْتِرَاكِ مَعَهُ  
فِي إِزَالَةِ مَا هُدِمَ مِنَ الْمَبَانِي . وَبَدَءُوا  
يَعْمَلُونَ بِحِمَاسَةٍ وَنَشَاطٍ فِي الْبِنَاءِ  
الْجَدِيدِ . وَاشْتَرَكَ بَعْضُهُمْ فِي حَمْلِ  
الْحِجَارَةِ مِنَ الْجِبَالِ ، وَالْبِنَاءِ ، وَعَاوَنَ

كُلُّ مِنْهُمْ فِي تَجْدِيدِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ . اِسْتَمَرَ  
الْبِنَاءُ مُدَّةً فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ وَتَعَاوُنٍ حَتَّى  
ارْتَفَعَتِ الْمَبَانِي بِقَدْرِ طُولِ الْإِنْسَانِ  
الْعَادِي . فَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي وَضْعِ  
الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَانِيَةً فِي مَوْضِعِهِ مِنْ  
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّ وَضْعَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي  
مَوْضِعِهِ يُعَدُّ شَرَفًا عَظِيمًا لِمَنْ يَضَعُهُ .  
وَلِهَذَا تَنَافَسَتِ الْقَبَائِلُ الْأَرْبَعُ ، وَأَرَادَتْ  
كُلُّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهَذَا الشَّرَفِ  
لِنَفْسِهَا ؛ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَسْتَحِقُّهُ  
دُونَ غَيْرِهَا . وَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ

يَتَنَازَعُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ  
يَسْتَطِيعُوا الْوُصُولَ إِلَى اتِّفَاقٍ يُرْضِي  
الْجَمِيعَ ، حَتَّى قُرِبَ الْخِلَافُ أَنْ يَصِلَ  
إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ . وَقَدْ  
حَلَفَ رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ  
هَذَا الشَّرَفِ ، مَهْمَا تَكُنِ الظُّرُوفُ .  
وَكَانَ مَنَعُ هَذِهِ الْحَرْبِ يُعَدُّ مُسْتَحِيلًا .  
وَاسْتَمَرَ الْخِلَافُ عَلَى مَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ  
الْأَسْوَدَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْكَعْبَةِ — أَرْبَعَةَ  
أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَجِدُوا حَلًّا مُرْضِيًّا لِهَذِهِ  
الْمُشْكِلَةِ الْمُعَقَّدَةِ .



وَحِينَئِذٍ رَأَى أَكْبَرُ الْحَاضِرِينَ سِنًا ،  
 أَنَّ الْمُشْكِلَةَ قَدْ اشْتَدَّ أَمْرُهَا ، وَلَا بُدَّ مِنْ  
 حَلِّهَا ، فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَيُّهَا  
 الْأَصْدِقَاءُ ، إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ إِرْضَاءَ الْإِلَهِةِ  
 ( الْأَصْنَامِ ) بِعَمَلِكُمْ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ  
 تَسْتَعِدُّونَ لِأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ،  
 وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَقْبَلُهُ عَاقِلٌ . وَلِحُلِّ هَذِهِ  
 الْمُشْكِلَةِ أَرَى أَنْ تَجْعَلُوا أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ  
 بَابَ الصِّفَا (١) — حَكَمًا بَيْنَكُمْ ، وَتُنْفِذُوا  
 مَا يَقُولُهُ ، وَمَا يَحْكُمُ بِهِ . فَقَبِلَ جَمِيعُ

(١) الصِّفَا : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ .

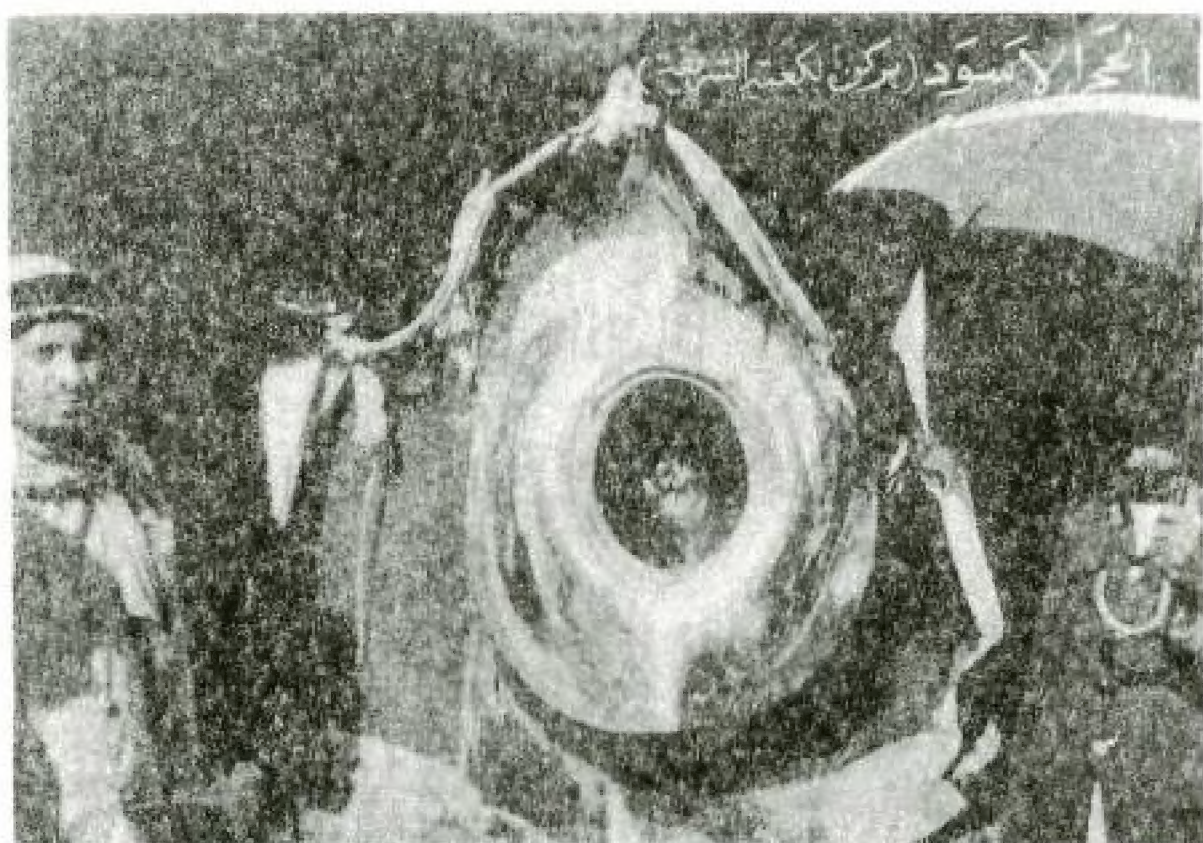


الصِّفَا

الْحَاضِرِينَ هَذَا الرَّأْيَ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ ظَهَرَ  
عِنْدَ بَابِ الصَّفَا خَيْرُ شُبَّانِ مَكَّةَ ، وَهُوَ  
الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،  
فَلَمَّا رَأَوْهُ اِطْمَأَنَّنُوا لَهُ كُلُّ الْاِطْمِئْنَانِ ؛ لِمَا  
يَعْرِفُونَهُ عَنْهُ مِنْ الْأَمَانَةِ وَصِدْقِ  
الْحَدِيثِ ، وَالْعَدَالَةِ فِي الْحُكْمِ ،  
وَصَاحُوا جَمِيعًا فَرَحًا : هَذَا الْأَمِينُ  
يَسْتَحِقُّ كُلَّ ثِقَةٍ ، وَإِنَّا رَاضُونَ بِحُكْمِهِ ؛  
لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَاكُمُونَ إِلَيْهِ ، فَيَحْكُمُ  
بِالْحَقِّ ، وَلَا يَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ .  
وَوَضَعُوا جَمِيعًا أَسْلِحَتَهُمْ ، مُطْمَئِنِّينَ



إِلَى حُكْمِهِ ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَدَثَ . فَفَكَّرَ  
قَلِيلًا ، ثُمَّ بَسَطَ رِداءَهُ عَلَى الْأَرْضِ  
وَقَالَ . لِنَأْخُذْ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ  
الرِّداءِ ، ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِيَدَيْهِ فِي  
وَسْطِ الرِّداءِ ، وَأَمَرَهُمْ بِرَفْعِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى  
الْمَكَانِ الَّذِي سَيُوضَعُ فِيهِ ، فَحَمَلُوهُ  
حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَأَخَذَهُ مُحَمَّدٌ  
وَوَضَعَهُ فِيهِ . وَبِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ حُلَّتِ  
الْمُشْكِلَةُ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِيعُوا حَلَّهَا فِي أَرْبَعَةِ  
أَيَّامٍ ، وَمَنَعَ مُحَمَّدٌ الْقِتَالَ وَالْحَرْبَ  
وِإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ بِحِكْمَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ ،



الحجر الأسود  
( بركن الكعبة الشريفة )



وَقَضَائِهِ الْعَادِلِ ، وَرَأْيِهِ الصَّائِبِ . وَقَدْ  
رَضِيَ الْجَمِيعُ بِحُكْمِهِ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ  
الْعَظِيمُ مُوَفَّقًا كُلَّ التَّوْفِيقِ فِيمَا فَعَلَ .  
وَانْتَهَى النَّزَاعُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْأَرْبَعِ بِفَضْلِ  
مُحَمَّدٍ الْيَتِيمِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَكَانَ  
أَصْغَرَ الْحَاضِرِينَ سِنًا . وَلَوْلَاهُ لَحَدَّثَتْ  
حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ الْعَرَبِ ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ  
الْحَرَامَ قِبْلَةَ الْعَرَبِ ، وَكَعْبَتُهُمُ الَّتِي  
يَحُجُّونَ إِلَيْهَا . وَلِهَذَا تَنَافَسُوا فِي  
الْفَخْرِ ، وَتَنَازَعُوا عَلَى السِّيَادَةِ .